تجليات الديستوبيا في رواية (آن) للكاتبة وفاء عبدالرزاق

أ.د. عبدالرحمن مرضي علاوي *

الملخص:

يُعالج هذا البحث تمظهرات الديستوبيا في رواية (آن) للكاتبة وفاء عبدالرزاق، وهذه الرواية دون غيرها لما فيها من مزج دقيق بين الواقع والخيال باسلوب سردي فني يعكس ما تعانيه المجتمعات من فوضى بسبب تحولات الشخصية التي أدت إلى تحول المكان من ايجابي إلى سلبي(ديستوبي)، ولاسيما تبني فكرة التآمر والخيانة، والفساد وسوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك أجملته الكاتبة في وصفها للمناخ الديستوبي الذي ساد مملكة (ماهود)، وتحولها منارة يُحتذى به إلى مكان سلبي.وقد اعتمدنا في معالجة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة الادب الواقعي.

الكلمات المفتاحية: الديستوبيا ، المدينة الفاسدة، رواية آن، المكان، السرد.

المقدمة

إن علاقة الانسان بالمكان قديمة قدم البشرية الاولى، وهذه الاعلاقة لا تبقى على وتيرة واحدة بل تتغيير بما يُستجد من متغيرات نلحظها في سلوك الشخصيات التي تقود الاحداث، فان كانت العلاقة ايجابية تميز المكان بالمألوف الذي تحبه وترتبط به الشخصيات وتتفاعل معه تفاعلا ايجابيا وتدافع عنه ضد اي تهديد في الوقت نفسه تخشى عليه من أي خاطر قد يصيب الأماكن المجاورة، وإذا كانت العلاقة سلبية انماز المكان بالسلبي الذي تنفر منه النفوس لما فيه من فوضى متجذرة في الحياة بتفصيلاتها، مما يجعله مكانا معادياً، الامر الذي يحتم على الشخصية اتخاذ موقف منه اما الهجرة منه او التحدي لغييره إلى مكان ايجابي.

وهذه العلاقة بين المكان والشخصية اتضحت بشكل جلي منذ القرن التاسع عشر الذي اتجه فيه الكتاب إلى دراسة الواقع بموضوعية ولاسيما التحليل النفسي للشخصيات وما يصيبها من تحولات

* جامعة بغداد – كلية العلوم الاسلامية – قسم اللغة العربية abdulrahman@cois.uuobaghdad.edu.iq

على اثرها تحدد علاقتها بالمكان، وفي دراستنا هذه اخترنا رواية (آن) للكاتبة وفاء عبدالرزاق التي عُرفت بواقعيتها سعيا منها إلى طرح المعوقات التي تصيب المجتمعات وتمنعها من تحقيق العدالة، وقد عالجت ذلك بسردية فنية مزجت بين الواقع والخيال باسلوب مشوق يشد القارىء لمتابعة القراءة بدقة وتفكر للافادة مما تطرحه الكاتبة، وقد عالجت الكاتبة في روايتها هذه مكانا بدا للمرة الاولى ديستوبيا عندما قدم اليه الملك ماهود تاركاً خلفه مملكته، ثم جاهد على تحويله إلى مكان ايجابي مميز فيه المؤلات كافة، لكنه بفعل التآمر والخيانة تحول إلى مكان سلبي ديستوبي.

وقد لاحظنا حرص الكاتبة على ايصال فكرتها الرئيسة وهي ان الشخصية المناسبة – الايجابية – تحول المكان الديستوبي إلى يوتوبي وبالعكس تماما دون اي حرص منها على تحديد مكان معين، فغايتها صلاح المجتمعات وسلامتها ولا يتحقق ذلك الا بوجود الشخصيات الايجابية التي تحرص على تطبيق العدل.

اقتضت طبيعة المادة ان نبدأ بايجاز دقيق عن مفهوم الديستوبيا ، ثم بعد ذلك تطرقنا إلى تحديد ملامح الديستوبيا، فتجلى لنا الموت الذي انتشر بصور مختلفة في مجتمع مظلم، ثم تطرقت إلى معالجة التآمر بوصفه المعول الرئيس الذي هدَّ اركان المجتمع اليوتوبي وحوله إلى مدينة فاسدة (الديستوبيا)، تلا ذلك تمظهرات صور الفوضى التي انتشرت بفعل القتل والتآمر والخيانة، واخر ما رصدناه المكان الديستوبي بوصفه مكانا معاديا مظلما فتطرقت إلى وصفه، وكانت وسيلتنا في ذلك كله المنهج الوصفي التحليلي، وانهينا البحث بخاتمة اوجزنا فيها أهم النتائج التي توصلنا اليها.

الهدف من الدراسة: نسعى في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على نتاج أدبي جديد ظهر حديثاً واصطلح عليه مسمى الديستوبيا، وهو يعنى بتقديم رؤية دقيقة تتجاوز المألوف والسطحي إلى المخفي للكشف عن اسباب انتشار الفوضى بشتى صورها.

أهمية الدراسة: تتجلى اهمية الدراسة بوصفها وسيلة للكشف عن انهيار المجتمعات الديستوبية بما نجد من صور دقيقة لهذه السلبيات التي سادت المجتمع، كل ذلك قدمته الكاتبة وفقمعطيات واقعية وغايتها من ذلك دفع المتلقي إلى القراءة بعمق وتفكر حتى يحافظ على مجتمعه مما هو سائد في مجتمعات اخرى.

مفهوم الديستوبيا:

حرص نقاد العصر الحديث على مواكبة الحداثة الوافدة من الغرب من اجل هضمها وايجاد المفاهيم المناسبة لمصطلحاتها بدقة من قبل المختصين في تيارات الحداثة وكذلك القراءة، وهذه العملية تتطلب ثقافة عالية من قبل النقاد والكتاب، وقد وجدنا ذلك عند النقاد العرب، ومن هذه المصطلحات الوافدة التي تطلبت جهدا ثقافيا من اجل فهمها وايجاد المفهوم المناسب لها (الديستوبيا) وتعني باختصار المدينة الفاسدة وهو الاصل اليوناني، وقد شرع الكتاب في توظيف هذا المصطلح الجديد بوصفه عتبة نصية مختصرة للمكان السلبي الذي شاعت فيه الفوضى بشتى صورها، الامر الذي سارع في انتشار الفساد الاخلاقي، والابتعاد عن ضوابط الشرع الاسلامي، والتحلل من القيم الاجتماعية الايجابية[١]، ومن ابرز"ملامحه التآمر والقتل، والاستبداد، والقمع والشمولية، والفقر والمجاعة، وانتشار المرض، بفعل الاوبئة، فهو عالم تعاني فيه الانسانية من اللاإنسانية"[٢]، وهذا التحول الخطير من شأنه ان يحلق الضرر بالانسان بوصفه النقطة الاضعف في المجتمع الذي تتحكم به الشخصيات السلبية فهو بالنسبة لها عينة لتجاربها التي تطبيقها عليه دون أي اهتمام لشخصيته[٣]، ما يُضعف ثقته بالانظمة والاجهزة المتعددة في مجتمعه بوصفها عاجزة عن تصحيح الاوضاع بل انه يعدها المسؤولة عن هذا الفساد[٤]، ولا يُشترط في النتاج الروائي الذي يستعمل الديستوبيا ان يعالج مكانا حقيقياً بل قد يلجأ إلى الكاتب إلى مكان خيالي له مثيل في الواقع على ان ينماز هذا المكان بالفساد والخراب والتآمر، والفوضى، فالكاتب يحاول تشخيص السلبيات ومعالجتها قبل وصولها إلى الاماكن الحقيقية[٥].

الموت:

حققت الرواية الواقعية نجاحاً مميزاً من بين الانماط الاخرى، وهذا النجاح قد اشاد به النقاد وعموم القراء لانها اتخذت من الواقع رافدا لها في سير الاحداث، فانماز طرحها بالموضوعية دون غلو

١- يُنظر: معجم المصطلحات الادبية والنقدية، د.أسامح محمد البحيري، دار النابغة المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م، ص/ ٢٠٠.

- الفوضى والشر في ادب المدينة الفاسدة، مجلة فكر الثقافة،ع٢٥، يونيو، ٢٠١٩م، ص/ ٢٦.

- يُنظر: موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، ترجمة: خليل احمد خليل، ج٢، بيروت، عويدات، ط٢، ٢٠٠١م، م، ص/٣٦١.

- يُنظر: اليوتوبيا معياراً نقدياً، كامل شياع، ترجمة: سهيل نجم، الطبعة الاولى، دار المدى، ٢٠١٢م، ص/٢٨.

٥- يُنظر: الديستوبيا(المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، فاطمة برجكاني، مجلة اضاءات نقدية، (فصلية محكمة)- السنة الثامنة، ع٢٩، آذار٢٠١٨، ص/١٣٦، ويُنظر:مشهديات الديستوبيا في رواية "جماليكة آرابيا" احلان بن الشيخ، مجلة دراسات أدبية، ع٦، ٢٠١٨، ص/٦٥.

او افراط في نقل الاحداث، في نسق فني مميز يجذب المتلقي ويشده لمواصلة القراءة، ونجد من بين هذه الاحداث الواقعية صورة الموت التي لازمت السلطة، فالملك ماهود قد تعرض للخيانات الكثيرة عندما علن عن مملكته الجديدة ، ولاسيما بعد زواجه من جاريته (شمس) "التي احنى رأسه إليها، ..، احبها بجنون، وصار يخشى عليها من المتامرين والغيارى...ينحني رأسه لانها تُثير كل حواسه وغرائزه، حين يدنو منها يشمها ، يراها، يلمسها، ....، وهو الذي تنحني له رقاب الرجال"[٦]، ونتج عن هذا الحب غلام اسماه (بغدان)[٧]، وصبية جميلة لها نصيب من جمال امها اسماها (نوران)[٨]، وهذا العلاقة المثالية لم تعجب زوجته الاولى سرمار التي سعت إلى الانتقام من منافستها (شمس)، فسعت إلى الحاق الاذى بها، "فكرت بطريقة تخلصها من المولود الجديد (نوران)، ما زال طرياً من السهل خنقه ، وتحرق قلب الملك و(شمس) عليه .

بدت كلمة خنق غريبة عليها في بادى الامر، سرعان ما تآلفت معها وصارت جزءا منها.

الصغير بوجهه الناعم الجميل ، يستدرج عدوة له ولامه ، فترشو مربيته وتعدها بمنزل وخادم وراتب شهري لو فعلتها.

اما المال ضعفت المربية وأقسمت على التعاون مقابل الصفقة ، تعطيها روح (نوران) وتاخذ مقابلها الدار والخادم والراتب.

مساء الموت على المملكة، قالتها وفعلت"[٩] .

تألَّم الملك ماهود لمقتل ابنته (نوران)وادرك يقينا بدء معركة التآمر عليه، فقال مهدداً بقوة"ساقتل كل من يتآمر عليك يا شمس واقطع كل يد تمسك رداءك بأذى، لم تُخلق عيناك للدموع"[١٠] فجابهها باعدام الخونة كما يسميهم.

ان تسارع الاحداث في مملكة ماهود قد عجل بهلاك الخونة مهما كانت درجة قرابتهم من الملك فالسيف سيشرب من دمائهم بضربة من يده هو دون غيره، فهو قد اقسم بذلك بعد موت ابنته من جاريته شمس، بعد هذه الحادثة عم الملك على التجول في ارجاء مملكته متخفيا بزي بسيط عله

٦ . رواية آن، وفاء عبدالرزاق، دار أفاتار للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٩م، ص/٥٤.
٧ – يُنظر: المصدر نفسه، ص/٥٥
٨ – يُنظر: المصدر نفسه، ص/٥٥.
٩ – المصدر نفسه، ص/ ٥٨–٥٩.
١٠– المصدر نفسه، ص/٥٩.

يرصد شيئا لا تصل اليه عيونه وهو داخل قصره، وفي ليلية قمرية رصد رجلان يبتعدان عن حدود القصر وعندما اقترب منهما "اطاح لثام رفيقه العبد واذا بها الجارية سرمار كانا قاصدان مملكة أريان، لم يتمالك غيظه فاطاح بها ارضا وقطع رقبتها ثم اعطى العبد فرصة بالحياة اذا صارحه بالحقيقة وسيعتقه، اتضح انه مبعوث "اريان" وجاريته كانت تخونه معه، وعدها بقتل الملك شرط ان تطارحه الفرااش، فقتله بعد اعترافه ودفنهما في الخلاء"[١١].

انتقم لغضبه وقتل من خانه، لكنه مازال في دوامة الشك بل زاد الامر سوء لدرجة ان تصل الخيانة عقر قصره وتحديداً ام اولاده، بمن سيثق في قادم ايامه؟

حتما هو لن يرحم أي خائن اخر مهما كانت صلته به ، فالسيف علاج الخونة، فعليه ان يكون يقظا في قادم ايامه لان الداء قد استشرى في ارجاء قصره، وهذه المرة مع ولي عهده ابنه قمران، فقد ضبطه الملك في فراشه ومع جاريته الصغيره "فتك" عندها تذطر ما قالته له جاريته شمس عندما علمت بعلاقته معها فسالته عن اسمها فاخبرها "فتك" فقالت له: ستفتك بك يوما ما، فتحققت توقعها وقرر انزال العقاب بولي عهده قمران، فامر به في سجن منفرد، اما فتك فقرار مصيرها محسوم، فالموت عقوبة الخونة مهما كانت علاقتهم بالملك، فاخذ جاريته في رحلة بعيدة "مسافة نصف نهار عن القصر ووصلا إلى منطقة احراش ، معروفة انها تأوي الافاعي الخطيرة، ..استخرج زجاجة سم من جيبه وأوقفها بمنتصف الاحراش ...:

اختاري طريقة موتك، اما تكرعين هذه الزجاجة دفعة واحدة، أو أقيدك هنا لتعصرك الافاعي وتصب سمها بجسدك، تتلوين ألماً، تزرق شفتاك، تتلوين...ثم تموتين.

هيا اختاري! وفي كلا الحالين سم.

...امسك بها بقوة وفتح فمها ثم افرغ قارورة السم كلها في فمها"[١٢].لتتحول إلى جثة هامدة لا حراك بها، وهو يتركها لمصيرها يدرك تماما ان داء الخيانة مازال في قصره ولن ينتهي بموت جاريته فتك، بل يتوقعه في اقرب الناس اليه وعليه ان يكون حذراً جداً مما هو آت ولاسيما انه قد نال من الكبر، ولم يعد بتلك القوة التي كان عليها سابقا، فغدر ذوي القربى اشدة مرارة من وقع الحسام المهند.

---

[١١] – المصدر نفسه، ص/٨٥

[١٢] – المصدر نفسه، ص/١٢١ .

هو يُدرك تماماً ان داء الخيانة قد تغلغل إلى عقل اولاده ولاسيما بعد اعلان زواجه من جاريته شمس لذا عليه توقع اسوء الاحتمالات وانتظار ما يظهرم من رد فعل عاطفي تجاهه، فالشعور بالظلم قد سيطر على فكر اولاده بعد ان حرمهم من ولاية العرش، وهذا العرش هو سبب تقاتل اولاده عليه، فغايتهم الاستيلاء عليه مهما كان الثمن.

لم يدم الاستقرار طويلا في قصر الملك فهذه المرة وقع الملك ضحية التامر عليه فبعد ليلة حمراء جمعته باحدى الجواري شرب كثيرا حتى نام بعد ذلك افاق على عالم مظلم وضيق رائحته كريهة فضلا عن رطوبته فعلم حينها انه في سجن انفراي بامر من ولده الاكبر ليقضي فيه بقية حياته[١٣].

آلت مقاليد الامور إلى ولديه الذين سعوا إلى تمزيق البلاد بان نشروا الفوضى والفساد، فتالم الملك وهو في جحره لسماعه هذه الاخبار عن طريق خادمه سلطان، فاقسم ان خرج من سجنه ليقتص من ولديه ويحرر مملكته من فسادها، فكان له ذلك فالتقى بولي عهده (قمران) مقيداً "فارتجف قلبه، كل بدنه ارتعش، ...لم يشأ ذبحه، طعنه في رقبته فهو يجيد المكان المميت، غرغر، جحظت عيناه، ..ثم فارق الحياة"[١٤]، لم تنطفأ غضبه بعد فمازال ولد الثاني حرا طليقا ويجب ان يموت بالخنجر الثاني الذي خصصه له، وقف امامه "ويداه مغلولتان إلى الخلف، وقدماه مطوقتان بالاصفاد.لم يتمالك نفسه، سحب الخنجر الثاني من النطاق وطعنه في بطنه:

هل تعرف معنى الوطن يا جبان؟

-الوطن يعني انا وانت وهولاء، ....ثم طعنه ثانية، جن الملك وهو يزيد الطعن هنا وهناك حتى مزق جسده"[١٥].

ان الملك ماهود يُدرك تماما ان الخيانة في مملكته لن تموت الا بقطع راس الافعى (زهران) ابن عدوه اريان وزيره السابق وزوج ابنته (ياقوت)، فكان له ذلك بعد تدبير وتنسيق مع ابنته التي استدرجته إلى الشَرَك المعد له مسبقاً فاجتمعا في قصره وفي غرفة نومه وقال له :"حانت لحظتك ايها الخائن.

ضربه في ظهره فسقط أرضاً، ثم أعطى بغدان الخنجر ليكمل دوره، أقسم أن يكون هو الفاعل، وأعطته ياقوت سكيناً كانت على الطاولة، فاكمل عليه الطعن حتى اخر رقمق.

---

[13] – يُنظر: المصدر نفسه، ص/١٩٩ .

[14] – المصدر نفسه، ص/٢٢١-٢٢٢ .

[15] – المصدر نفسه، ص/٢٢٤.

كان الموت جميلاً تلك اللحظة ومنصفاً"[١٦].

بموت زهران انتهى محور الشر وما عادت لاذرع الشرع اريان أي وجود في مملكة ماهود، فقد اجتثها جميعا.

فكرة التآمر:

حرصت الكاتبة على طرح فكرة التآمر في روايتها فهي المحرك الرئيس لاحداث الرواية، وقصدها من ذلك ان هذه الافة اذا ما سادت المجتمع لان هذه الافة تزرع الشك في نفس الشخصيات التي ستتعامل مع الاخر بمدأ الشك وانعدام الثقة بالاخر، وهذا ما وجدناه في شخص الملك ماهود الذي صرح قائلاً "أشك في كل الاشياء في كل الناس حتى اقرب خليلة لي، لهذا لم اتزوج ولم تخطر ببالي فكرة الزواج لاني لا اريد ان انجب في مكان لا اعرف نفسي فيه، كل ما فيه اسئلة تدور في ذهني اية ذرية ستحمل لقب تخميناتي"[١٧]. مازال الشك يدور في راسه وكلما حاول نسيان الامر تبارد إلى ذهنه فكرة التآمر، فهو يُدرك تماماً ان عدوه (أريان) لن يكف عن ارسال الجواسيس لزعزعة استقرار المملكة بمساعدة الخونة من مملكة ماهود، ولم يتصور الملك ان الخونة هم من قصره واقرب الناس اليه، والاحداث اللاحقة ستكشف لنا تآمر هؤلاء.

حتما بدأ الشك بجاريته (سرمار) التي تحولت شخصيتها من مسالمة إلى عدائية بعد اعلان زواجه من جاريته (شمس)، فهو يخشى تآمرها مع"رئيس وزرائه السابق(أريان) فكلاهما يضمر الحقد الدفين في قلبه والنوايا السيئة له ولمملكته الجديدة وقصره الفخم الذي شيده واعاد من خلاله بناء هذه المملكة الفخمة"[١٨]، التي حرص على ان تكون مثالا يُحتذى به في العمران والاداب والفنون والخدمات وكل ما من شانه ان يعكس رقي هذه المملكة وتقدمها، وهو يعي في الوقت ذاته ان نجاح مملكته سوف يزعج الممالك المجاورة له لانهم يرون في نجاحه زوال ممالكهم التي بنوها على الظلم والاضطهاد واستعباد الرعية، فكان عليه ان يكون حريصا على مملكته وان يراقب بنفسه تحركات جاريته

---

[16] – المصدر نفسه، ص/ ٢٢٧.

[17] – المصدر نفسه، ص/١٩.

[18] – المصدر نفسه، ص/٦٣.

(سرمار)التي"أجزم على خيانتها مع وزيره بواسطة العبد الجديد والوسيط بينهما، وبين مملكته واتساع الحقد عليها واتساع رقعة التآمر"[١٩].

آمن الملك بفكرة التآمر وتبناها في عقله الامر الذي جعله يعيش حياة سوداوية لا صبح لها، فهو لم يعد يثق باقرب الناس اليه، فالكل اعداء في نظره، هو يثق بنفسه فقط بوصفه الملك فعليه ان يكون يقظا ويواصل المراقبة حتى تتضح حقيقة الامر خيانة وتامر ام محبة وولاء، فاول ضحايا التامر جاريته(سرمار) التي ضبطها مع العبد الجديد الوافد إلى قصره فقد اتضح"انه مبعوث"اريان"وجاريته كانت تخونه معه، وعدها بقتل الملك شرط ان تطارحه الفراش، فقتله بعد اعترافه ودفنهما في الخلاء"[٢٠].

ان قتل الجارية سرمار على يد الملك ماهود حتما ستكون له تداعياته السبية على اولادها(قمرا، نجمان) ولاسيما انها – سرمار – قد رسخت في ذهنهما ان اباهم الملك قد يعطي الحكم من بعده إلى ولده (بغدان) من جاريته شمس، وهذا الامر يكفي لترسيخ فكرة التامر في ذهنهما من اجل الاستيلاء على مقاليد السلطة مهما كان الثمن فضلا عن رغبتهم الثار من قاتل والدتهم (سرمار) كل هذه العوامل قادت الاحداث بسرعة نحو التغيير، في المقابل نجد الملك ماهود قد سيطر الشك على تفكيره"شك، ولا تستثني أحداً، أو تستبعد التآمر، استمر، إكنس الثقة من دارك وشكّ بالجميع"[٢١]، ان هذه الحالة التي يمر بها الملك تجسد صراعا فكرياً عنيفاً تعيشه اسرة واحدة لا شي يجمعها سوى المكان الذي اضحى مكانا معاديا.وهذه الاحتقان يحتم على طرفي الصراع استباق الخطوات للظفر بعرش المملكة، واستثمار الاخطاء التي يقع فيها اطراف النزاع، وفي ذات مساء"حين نامت العيون وخفت اضاءات الغرف تسلسل قمران...إلى غرفة نوم أبيه، وقد تركت له فتك الباب مواربا"[٢٢] عندها جن الملك وارتعشت يداه واقسم على قتل فتك وارسل ابنه إلى سجن مظلم، وطلب من"حارس السجن

---

[19] – المصدر نفسه، ص/ ٨٣.

[20] – المصدر نفسه، ص/٨٥.

[21] – المصدر نفسه، ص/٩٢.

[22] – المصدر نفسه، ص/١١٨ .

ان لا تاخذه رأفة بالسجين قمران ويدخل اليه الماء والاكل مرة واحدة في اليوم تكفيه لسد رمقه"[٢٣]، بات الان الملك ماهود مهموما مثقلا بما آلت اليه الامور ولن تتوقف عن الاحتدام، فنصف همه "خيانة محظيتيه وابنه، والنصف الاخر الدول المجاورة وتحالفها مع اعدائه طمعا بالسلطة والثراء."[٢٤]

وهذه القسوة من الاب – الملك ماهود – تجاه ولده قمران لم تكن نباعة من قلب قاس وانما لغاية تاديبية وما ان شفعت له اخته ياقوت حتى اطلق سراحه وقربه من مجلسه لكنه سرعان ما تردد إلى قصر عدوه أريان بحجة زيارة اخته هناك وبعد ايام قليلة طلب قمران الزواج من ابنة أريان، عندها اتضح الامر جليا للملك ماهود "الالتفاف عليه وعلى المملكة من جانب اسرة الملك وفي عقر داره ستكون المؤامرة"[٢٥]، بعدها بايام قليلة تشاجر الاخوان "حول الاحقية، ومن له ولاية العرش، كل يتهم الاخر حتى فضحهما لسانهما، واتضح ان كل منهما أسس حزباً له، ...اقترب الامير نجمان من اخيه صائحاً:

أنا أحق منك على الاقل لم أخن أبي وأنام مع محظيته في غيابه.

أخرست الملك المفاجأة وشل قدميه هول ما سمع..لغة جديدة لم يسمعها من قبل في قصره شجار بحضوره، وصوت عالٍ دون احترام لوجود ما الذي حلَّ لولديه!!"[٢٦].

حاول الملك اجراء الحفلات في قصره لتغيير النفوس المضطربة محاولة منه لاجراء تغيير يتلوه اجراء ضروري لاحكام السيطرة على قصره ومملكته لكنه هذه المرة اصبح ضحية مؤامرة ولديه فبعد ليلة حمراء شرب فيها كثيرا استيقظ بعد ذلك ليجد نفسه في قعر مظلمة ضيقة لا تسمح له بمد ذراعيه فضلا عن الرطوبة والرائحة الكريهة ادرك يقينا انه في سجن مظلم اصبح مقره الجديد بعد ان آلت السلطة إلى ولديه[٢٧].

الفوضى:

---

[23]– المصدر نفسه، ص/١٢٣.

[24]– المصدر نفسه، ص/١٢٨.

[25]– المصدر نفسه، ص/١٦١.

[26]– المصدر نفسه، ص/١٦٥.

[27]– يُنظر: المصدر نفسه، ص/١٦٩.

كثيرة هي الصفات التي يتسم بها سكان الاماكن الديستوبية وكلها سلبية متداخلة مع بعضها البعض، واذا ما بحثت عن السبب الرئيس لانتشار هذه السلبيات في أي مجتمع ديستوبي ستجد الفوضى بوصفها علامة فارقة اذا ما وجدت في أي مجتمع فاعلم انه مكان سلبي – ديستوبي- فشيوعها يرسخ انعدام النظام فلو كان موجودا لما سادت هذه الافة الهادمة في المجتمع، وفي رواية (آن) يتجلى لنا بوضوح شيوع الفوضى في مناحي الحياة كلها ولاسيما الاجتماعية "فالناس صاروا اعداء الناس، الصديق ضد الصديق، لم يتمسكوا بأصالتهم السابقة، لم تعد تجمعهم العاطفة بل يجمعهم الانتقام لذا صاروا صيداً ثميناً للمغرضين"[٢٨]، حتى علاقة الجار بالجار التي اوصى بها الدين الاسلامي الحنيف قد انقطعت وتحولت إلى خصومة ندية كل منهما يسعى إلى اسقاط جاره بما يمتلكه من وسائل ودسائس مختلفة "باغراء ضعفاء النفوس الذين اشتروهم بالمال والوعود بمناصب كبيرة، ...فصارت المملكة تطوف فيها الثعابين من كل حدب وصوب وتتناسخ كل يوم تسلخ جلودها القديمة لتظهر بملمس ناعم تماشياً مع الجهة التي تزودها بالمال"[٢٩]، اما الفكر فهو الاخر قد ناله الاضطهاد فقد "سُجن بكهوف طارئة وانتشر فكر الظلام والكراهية والمرض والاخلاق الفاسدة والنزعة المادية المُشبعة بالغباء"[٣٠]، عندها ادرك الملك يقيناً موت السعادة في مملكته وحل ملحها الشقاء والعذاب، فلكل فرد من مملكته نصيبه[٣١]، بعد ان كانت المملكة رمز الجمال والبأس والشكيمة "الممتلئة بروح النقاء، لعب الاطفال في الحارات، مجالس اللهو والشاي ، نسمة الابداع الالهي، ضحكة البروق والاشعاع"[٣٢]، فلم يعد يملك من امره الا الدعاء لارجاع مملكته إلى ما كانت عليه فهو وسيلته وسلواه.

حيلة ضعيفة لا تغير من فوضوية الواقع السوداوي، فبين الحين والاخر "يُشاع عن سلسلة جرائم مقصودة، وقتل بابشع الصور والتنكيل بابناء الشعب ما يُثير العجب"[٣٣]، فاولاد الملك سعوا إلى تغيير

---

[28]- المصدر نفسه، ص/١٢٨.

[29]- المصدر نفسه ، ص/١٢٩.

[30]- المصدر نفسه، ص/١٢٩.

[31]- يُنظر: المصدر نفسه، ١٣٧.

[32]- المصدر نفسه، ١٤٠.

[33]- المصدر نفسه، ص/١٦٧.

الايجابيات التي حرص الملك على ترسيخها في المجتمع ، وتشويهها إلى درجة انهم قد حرموا المجتمع من كل مباهج الحياة[٣٤].

قد يُحسن البعض ممن رفضوا حكم الملك ماهود الظن بحكم ولديه، ولاسيما بعد وعودهم الرنانة بتغيير الوضع نحو الاحسن، واذا به ينحدر نحو الهاوية المظلمة دون أي بصيص امل، فهذا الحارس الامين يخبر الملك وهو في معتقله المظلم بما يجري في مملكته " لا تتخيل ما يجري في المملكة سيدي، الابناء تقتل الاباء والاخوة تحفر بئر الموت بيدها لباقي الاسرة طمعاً في المال..

كيف يحصل هذا أين الاميران؟

يحصل بتوجيه منهما..."[٣٥].

انزعج الملك كثيرا مما سمع أيعقل ان تتحول مملكته إلى غابة تتصارع فيها النفوس الخبيثة سعياً منها لافتراس الضعفاء والهيمنة على اموال الناس؟ انها الفوضى التي تاكل الاخضر واليابس الابيض والاسود العاقل والجاهل، فلم يكتفوا بذلك مولاي الملك بل تحولت المملكة إلى مرتع للفساد، "فالاوساخ تملأ المملكة، والدور المتهدمة، والقطط والكلاب السائبة تبحث في المزابل عن الطعام مع الاطفال والشيوخ والمعوزين. استقبلوا كتباً وكتاباً لا علاقة لهم بوعيك سيدي كتب تلتهم عقول الناس وتحجرها اكثر مما هي عليه من تحجر.

سادت الاخلاق الفاسدة ، مولانا ، والنقصان والدونية"[٣٦] فضلاع ن استفحال الشعوذة والمشعوذين وسيطرتهم على عقول البسطاء من سكان المملكة بما يبثونه من خرافات واكاذيب القصد منها استدراج هؤلاء لانتزاع اموالهم من جيوبهم رغم حاجتهم اليها[٣٧].

حزن الملك كثيرا واصابه الياس فضلا عن وجع قلبه لما سمع من خادمه مصباح عن احوال مملكته، فهو الان مقيد ملقى في قعر مظلمة لا يعرف مصيره فراى حشرة تسلقت على ساعده الايمن:

---

[34] – يُنظر: المصدر نفسه، ص/١٦٧.

[35] – المصدر نفسه، ص/ ١٧٧.

[36] – المصدر نفسه، ص/١٧٨.

[37] – ينظر: المصدر نفسه، ص/ ١٧٨.

"أنت اشرف من الامراء فوق سطح الارض، فهؤلاء الرجال تشمئز منهم نفسي لما سمعته من أفعالهم، شبح الجريمة يطوف في مملكتي أيتها الحشرة، شبح يلتهم فضائل شعبي وطيبه ولا يلتهم قبح نفسه"[٣٨].

مازال الحارس المطيع لسيده ينقل له اوضاع المملكة بادق التفاصيل المؤلمة التي حرص الملك على سماعها رغم مرارتها ، فهو سلوة له مما هو عليه وفي الوقت نفسه يحرص على متابعة احوال مملكته المسروقة منه علّه يجد في عقله علاجا لها بوصفه المؤسس لهذه لمملكته وادرى الناس بما تحتاجه المملكة من علاجات ناجحة وناجعة، "ماذا عساني أقول وأنا أنقل اليك أسوأ الاخبار لكن الواجب يُحتم عليَّ إطلاعك بكل ما يدور....

كثر اللواط والزنا السري والشذوذ أكثر من السابق، بفعل الكبت الجنسي وعدم تمكن الشباب من الزواج"[٣٩].

ادرك الملك ان الفوضى قد عمت نواحي الحياة كلها دون استثناءولاسيما الجانب الاخلاقيفلم يعد باستطاعة الشباب الزواج ممن يحبون وهذا الامر يُسبب فسادا عظيماً(ذكر الاية)، فطلب الماك من خادمة مواصلة الكلام علّه يجد ما يسر سماعه عن نواحٍ اخرى، "ألا تريد استكمال الحديث؟

- حسناً الاحتياجات اليومية دائماً في ارتفاع، مثل الخضر والرز والخبز، لعدم توفر الحصة اللازمة للشعب، وهذا سبب للنهب، الجوع كافر"[٤٠].

تألم الملك كثيرا وغضب غضباً شديداً الامر الذي دفعه إلى نعت السارقين لمملكته بـ "أيها الزناة ماذا فعلتم بمملكتي!!"[٤١]

استدرك خادمه المطيع (مصباح) الموقف محاولة منه استفراغ غضب الملك قائلاً " لم ارسم لك صورة مظلمة مولاي، إنما هي الحقيقة، ورغبت الاطلاع عليها، لعل الزمن يقف معك وتعيد لنا الهيبة كلها أرضا وشعباً.اهملت الشوارع وعلتها الازبال، قلت الخدمات، كثرت الاوحال والاطيان"[٤٢].

---

[38] – المصدر نفسه، ص/١٨٢ .

[39] – المصدر نفسه، ص/١٩٢.

[40] – المصدر نفسه، ص/١٩٣.

[41] – المصدر نفسه، ص/١٩٤.

[42] – المصدر نفسه، ص/١٩٤.

مازال الالم ينتشر في فكر الملك ويستري سريعا بما يسمع من اخبار مؤلمة، فبادر بالسؤال عن الوضع الاقتصادي لمملكته علة يكون احسن حالاً مما سواه وقد نجا من الفوضى، فاجب مصباح:"لم تعد صناعة الحرير، والالبسة مثل الاول، والشراء من ممالك بعيدة بأثمان باهضة، شُلت الحركة الشرائية وركد اقتصاد المملكة، هذا جعل الشباب لا يستطيعون شراء بيت مستقل"[٤٣]، هذا حال الشباب في مملكتك مولاي، اما بالنسبة للنساء فقد ركبن"موجة شراء الملابس والدهون الغالية للتفاخر بها، مما شكل تمايزاً اجتماعياً واضحاً.

كثر المتسولون والمتسولات بسبب الفقر وعدم تقديم الرعاية للطبقات الفقيرة"[٤٤].ادرك مصباح انه قد أثقل على الملك ماهود بحديثه هذا فاراد التوقف، فرفض الملك وطلب منه الاستمرار:

"ارجوك أكمل لا أقيم وزناً لهولاء الانذال، ساغير الامور كلها ، وبالصبر أحل ما خُرِّب ودُمِّر، أكمل.

-الشخصية في مملكتنا تميل للعدوانية بطبيعتها، فكل بيت يملك سلاحاً يُقاتل به مع قبيلته، أو للدفاع الشخصي، لذا ترى المعارك مستمرة بينهم وأحياناً على أشياء تافهة وتتطور بين افراد البيت أنفسهم"[٤٥].

جميل هذا التفاؤل الذي آمن به الملك، وقوية جدا عزيمته واصرار على اصلاح ما تضرر في مملكته مهما كان بشعاً وملوثاً، فهو بما يمتلك من خبرة وحكمة ومعرفة وثقافة واسعة يستطيع اصلاح كل شي، بهذه القوة اصر على مواصلة الحديث مع خادمه مصباح لمعرفة المديات التي وصلت اليه الفوضى في ممكلته، فقال له مصباح:"الرشوة صارت محللة في المملكة، كما السرقة ونهب الاموال والاعراض والدور..خزانة الدولة فارغة آلان مولاي، .....كل الحياة أصبحت عمياء، عمياء لا علاج لها سوى خروجك من هنا"[٤٦].

وصف المكان الديستوبي:

---

[43] – المصدر نفسه، ص/١٩٥.

[44] – المصدر نفسه، ص/١٩٥.

[45] – المصدر نفسه، ص/ ١٩٦.

[46] – المصدر نفسه، ص/٢٠٥-٢٠٧.

يُعد المكان عنصرا بنائياً مهما من مجموع العناصر البنائية الاخرى، ولهذا العنصر البنائي اثر مباشر في الشخصيات الروائية التي تتفاعل مع الامكنة التي تتواجد فيها بحسب الدور الذي تُؤديه سلبا أو ايجابياً، فاذا كانت علاقتها ايجابية مع المكان اصبح مألوفا لها – يوتوبياً – أما اذا كانت علاقتها سلبية اصبح المكان بالنسة لها معادياً – ديستوبياً –، علما ان هذه العلاقة قد تتبدل فيها الادوار، فالمالوف قد يتحول إلى معادي، والمعادي يتحول إلى مألوف، وهذا ما رصدناه في هذه الرواية، فمملكة ماهود الجديدة التي قدم اليها بعد تركه مملكته القديمة لم يألفها بل وجدها خربة لا أُلفة فيها فهي مكان ديستوبي، "كان الباب مواربا، لمكان مهجور، بدا كأنه قصر كبير ونال منه الزمن بما ناله من هدم..لا يسكن هذه الدور غير الاشباح..لذلك ينفر الناس من الاقتراب منها، الا السحرة"[٤٧].

لكنه تحدى الواقع الجديد وعملا مجتهداً "لم تعد الخيالات مجرد تهيؤات، هو الان أمام قصر الاشباح وعليه مواجهة الامر الواقع"[٤٨]"أختار بنائين على قدر من كبير من الخبرة، شيد القصور، وشق الترع والممرات النهرية.

عالم اخر، قال عالم آخر، ساصنع عالماً من الجمال، ...أعطى اوامره لاعادة ازهار المدينة، وأمر بارسال رسل للمدن والممالك المجاورة لعمل تعاون مشترك بينهم"[٤٩]حتى أصبحت من افضل الاماكن فتحولت إلى منارة مشرقة الكل يُحب الذهاب اليها بما فيها من بنى تحية لا يوجد مثيلها في أي مملكة أخرى واستمرت بعطائها حتى اصابها الدمار والخراب على يدي ولديه اللذين حولا مملكة ابيهم إلى ماكن ديستوبي ينماز بالفوضى في مناحيها كافة، فعشش فيها الفساد والخراب"الاوساخ والازبال تملأ المملكة، والدور المتهدمة، والقطط والكلاب السائبة تبحث في المزابل عن الطعام مع الاطفال والشيوخ والمعوزين، ...سادت الاخلاق الفاسدة مولانا، ....حتى الاماكن التي نشأنا عليها وعرفناها منذ أن رأت أعيننا الدنيا، وسعيت مقامك وبإرشاداتك على تعمير كل شي ..أصبحت مجرد مزبلة للقطط والكلاب"[٥٠].

---

[47] – المصدر نفسه، ص/٣٩.

[48] – المصدر نفسه، ص/٣٩.

[49] – المصدر نفسه، ص/٤٩.

[50] – المصدر نفسه، ص/١٧٨-١٧٩.

إنَّ مرارة الالم التي شعر بها جراء تحول مملكته إلى مستقر ديستوبي تشيع فيه الفوضى أنسته مكانه الديستوبي الذي آل اليه بعد انقلاب اولاده عليه، فهو الان يقبع في جُحر مظلم لا يُسعفه بمد يديه وقدميه، فضلا عن رطوبته ورائحة العفن المنتشرة فيه، فهو يعي تماما مسؤوليته امام مملكته وشعبه، وعلى عاتقة تقع مسؤولية تغيير الوضع إلى الاحسن، فمن رحم المعاناة يُولد الامل، هذا كان شعار الملك للنهوض بمملكته من جديد.

الخاتمة

أنهيت بحمد الله تعإلى بحثي هذا واتماما للفائدة فاني اوجز أهم النتائج التي توصلت اليها:

- اتضحت ملامح الديستوبيا في رواية (آن) في صور كثيرة اهمها(الموت، التآمر، الخيانة، الفوضى).
- تجلى لنا في ضوء دراستنا لهذه الرواية مقدرة الكاتبة على تشكيل مكان ديستوبي من صنع خيالها، جمعت فيه أخطر الآفات التي تدمر المجتمعات وتحولها من إيجابية إلى سلبية.
- تبنت الكاتبة فكرة التآمر في هذه الرواية وعدتها المحرك الرئيس لأحداث الرواية، فتولد عن التآمر الخيانة التي كان ثمنها القتل.
- أجادت الكاتبة في رصد تحول الشخصيات من سلوك إيجابي إلى سلبي وأثر هذا التحول على المكان الذي تحول هو الآخر من يوتوبي إلى ديستوبي.
- بُنيت الرواية بلغة رصينة متماسكة لا ركاكة فيها ولا ابتذال، فكل كلمة فيها تؤدي غرضها الدلالي داخل الرواية.

المراجع والمصادر:

١. د.أسامح محمد البحيري، معجم المصطلحات الادبية والنقدية، دار النابغة المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.

٢. فاطمة برجكاني، الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، مجلة اضاءات نقدية، (فصلية محكمة)- السنة الثامنة، ع٢٩، آذار٢٠١٨م.
٣. كامل شياع، ترجمة: سهيل نجم، اليوتوبيا معياراً نقدياً، الطبعة الاولى، دار المدى، ٢٠١٢م.
٤. لالاند، ترجمة: خليل احمد خليل، موسوعة لالاند الفلسفية، ج٢، بيروت، عويدات، ط٢، ٢٠٠١م.
٥. مجلة دراسات أدبية، مشهديات الديستوبيا في رواية (جماليكة آرابيا) احلان بن الشيخ، ع٦، ٢٠١٨م.
٦. مجلة فكر الثقافة، الفوضى والشر في ادب المدينة الفاسدة، ع٢٥، يونيو، ٢٠١٩م.
٧. وفاء عبدالرزاق، رواية آن، دار أفاتار للطباعة والنشر، ط٢ ، ٢٠١٩ م.

..... ❖❖❖❖❖ .....